

# قضايا الأدب والأدباء

## معركة حول الأدب والموقف

بقلم غالب هلسا

وهو يعني محمود امين العالم - الذين لم يفهموا الماركسية يتحدثون عما يسمى باليقين العلمي . واكد رمسيس ان اليقين العلمي امر لا وجود له ، وان جميع الامور نسبية . وكل ما يمكننا التأكد منه هو بعض الارقام المجردة . اذن ، فلا يحق لانسان ان ينتقد آخر تحت ستار اي مفهوم ، ما دام ليس ثمة ما هو مؤكد ويقيني .

ورمسيس يونان هنا ، كما هو واضح ، يخلط بين نسبية القانون العلمي وبين عدم وجوده اصلا ، كما ان هذه النسبية ليست ثابتة ، وانما تزداد يوما عن يوم اقتربا من اليقين . وهذا ما نسي ، عامدا ، ان يوضحه رمسيس يونان .

وهو منطقي مع نفسه تماما ، فعندما عرضت عليه احدى اللوحات ليدي رايه فيها ، قال بحماس :

لقد وصل بيكاسو الى مستوى اذهلني ... هذه الصورة هي قمة عبقريته ... الان اصبح بيكاسو لا مثيل له ...

ولم تكن اللوحة الا شخبطة قرد وضعت في يده فرشاة السوان فاخذ يصبت بها .

وهنا يبدو واضحا ان رفض القانون العلمي هو رفض للمسؤولية . وفي دراسته لديوان صلاح عبد الصبور ، اشار لويس عوض بتعال الى ان بعض الناس يقولون : كيف نتكلم عن الحزن ، بينما نحن نبني السد العالي ؟ فاجاب لويس عوض بانه سيدرس الديوان كعمل فني وحسب . واغرب ما في الامر ان لويس عوض لم يفعل شيئا من هذا ، وانما راح كما لاحظ الدكتور عبدالقادر القظ « يؤول المضامين النفسية والدينية في الديوان بشيء غير قليل من التصسف متحدث عن الهولي والقوة الاولى وشيء ثالث وسيط بينهما ويعرض باسهاب غريب رسالتين شعريتين باللغة اللاتينية تبادلتهما قسيسان في القرن الثالث عشر يفاضلان فيهما بين المرأة المجربة والعذراء حتى استغرق عن الرسائلين اكثر من نصف المقالة الثانية . كل ذلك لكي يربط بعد ذلك بين هذا الموضوع واعتقاد صلاح عبد الصبور في الخلاص بالحب » .

واما ما التزم به لويس عوض في بداية مقالته من دراسة فنية للديوان ، فقد انكره بعد ذلك بدعوى غريبة مضحكة ، وذلك ان دراسة الجوانب الفنية لعمل الادبي تحتاج كتابا لا مقالة ، موحيا لنا بشيء اشد غرابية وهي ان الدراسة الفنية تنصرف الى « جزئيات البيان والبديع والبلاغة والعروض » .

اذن ، فما الذي ينكره لويس عوض على محمود العالم في هذه الحال ؟ الا انه لم يتوصل الى هذه النتيجة الباهرة وهي ان صلاح عبد الصبور يداوم قراءة التوراة والانجيل وانه متأثر بهما الى اقصى حد ؟ ( لقد قال لويس عوض شيئا مشابها عن نجيب محفوظ في روايته الطريق ) .

ان لويس عوض يواصل السير في طريق اشتقه منذ زمن ، وهي مهاجمة الفكر الاشتراكي باسلوب شائع معروف ، وذلك بان يعرضه مشوها حتى يصبح بامكانه مهاجمته والتعالي عليه ، وذلك واضح في كتابه ( الاشتراكية والادب ) حيث دعا الى استبدال فكرة الواقعية الاشتراكية بفكرة القبول المسيحي .

اما يوسف ادريس الذي نالت مسرحيته الفرافير حظا من لوم محمود العالم وهجومه فقد مضى يؤكد في عدد من المقالات ان روسيا ليست الجنة التي وعد بها المتقون ، بل انها لها مشكلات ومصاعب ككل البلدان . وهو يؤكد لنا انه لم يات بهذه المعلومات من عنده ولكن الروس الذين زارهم في بلادهم قد قالوا له ذلك . ولم يكتف يوسف

لم تكن المعركة الادبية - السياسية التي اثارها محمود امين العالم مؤخرا اولى مماركه ، والدلائل تشير انها لن تكون اخرها . والمعركة قد خفت الان ، ولكنها ما تزال تشير ، هنا وهناك ، بعض الانفجارات العصبية المتوترة . والذي حدث فيها ليس خطرا في حد ذاته ، اذ اتخذت المسار الذي يميز المناقشات الادبية والذي اصبح طابع الحياة الفكرية منذ زمن . اذ تناولت موضوعاتها بخفة عهدنا ثم انتقلت سريما الى مباحثات ومشاحنات شخصية . ولكن المهم في هذه المعركة هو دلائلها .

كانت المعارك السابقة التي يشرها محمود امين العالم واضحة المعالم ومحددة . فمثلو الجانب الاخر كانوا من عتاة الرجعيين الذين استقروا ، منذ زمن طويل ، عند اراء لم يعد هناك من يدافع عنها . وكانوا يعتبرون كل جديد كارثة اخلاقية .

بعد جولتين او ثلاث ، اتضح تماما ان العقاد ومجموعته يخوضون معركة خاسرة لا جدوى فيها ولا شعبية لها. ومات العقاد وهو يرى ان كل شيء قد اصطبغ باللون الاحمر .

اما المعركة الحالية فهي مختلفة تماما ، فمسالكها صعبة والجميع يلبسون فيها عباءة اليسار ومن خلفها يوجهون الطعنات شمالا ويمينا . كانت البداية عندما خرج محمود امين العام - بعد احتجاب طويل - فتجول في الشوارع وتشم رائحة الدخان المنبعثة من المصانع ، ثم شاهد البسمات التي تعلق الوجوه ، ثم دقق النظر في ارقام الانتاج ومشاريع التصنيع والبناء ففهم الفرح وفاض على كل شيء . وبينما هو في قمة نشوته قادتته قدماءه الى حي عابدين واذا به امام مسرح الجمهورية ، فدخل وشاهد مسرحية « الفرافير » من تاليف يوسف ادريس . وغادر المسرح ساهما . ثم تناول ديوانا من الشعر وقع بين يديه ، وكان ديوان صلاح عبد الصبور الاخير . فازدادت حيرته وسهومة ، واخذ يسائل نفسه : الا يزال في هذا العالم والمصر حزن واسى ومرارة؟ المسألة في ذهنه واضحة كل الوضوح ، ومن عجب ان الاخرين عجزوا من فهمها واتخاذ الموقف الصحيح منها : فلو ان احدا رفضك حتى ابضت عينك ، او لو ان اهانة لحقت بك ولم تستطع لها ردا فما عليك الا ان تتنشق دخان المصانع حتى يمتلئ قلبك بالسرور وتفرغ كصفور ربيعي .

ورد صلاح عبد الصبور فردد هذا الرأي العتيق الذي انهم هو به منذ زمن غير بعيد ، وهو ان كل مؤمن بالواقعية الاشتراكية في الادب ، في كل زمان ومكان هو عميل من عملاء موسكو ، يتلقى منها الوحي والادامر . ولا يصدق ذلك في مجال السياسة وحسب وانما في مجال الادب ايضا . مثال ذلك ، ان الروس اجتمعوا وقرأوا كافكا فقرروا انه رجعي الى اقصى حد . فرددت ابواقهم ككورس ابله « رجعي الى اقصى حد ... » ، ثم عاد الروس فقرأوا كافكا مرة اخرى وقلبه بين ايديهم فاكشفوا انه تقدمي الى حد بعيد ، فانطلقت ابواقهم تردد هذا الرأي دون خجل او حياء . ولهذا فصلاح عبد الصبور لن يناقش العالم ولكنه سيناقش موسكو راسا دون وسطاء .

ولم يد صلاح اي اعتراض على ما يحدث في موسكو اذ ان هنالك الكثير من التطورات المشجعة ، وما على العملاء الا ان يتبينوا حقيقة الامر هناك .

اما كيف يكون هذا ردا على رأي محمود العالم في ديوانه ، فهذا امر احترت فيه اشد الحيرة . واشترك رمسيس يونان في المعركة ، معلنا ان بعض اتباع ستالين-

السابق والذي يبدو انها نخطئه الى حد كبير .  
 اما الجانب الاخر فيرى ان الفن لا علاقة له بالوضع على الإطلاق .  
 الفنان يعبر عما في داخله ولا يتعرض لما هو خارج عنها . ولا شأن  
 للفن ، فيما يرى هذا الطرف ، بالمجتمع او بالظروف السياسية او  
 الاجتماعية . انه لا يصدر حكما على العالم لان مقياس الحكم مفقود .  
 هنالك فقط فن جيد وفن رديء ولا شيء غير ذلك او بعده . وهذا الطرف  
 يرى ان مطالبة العالم لهم مناقشة موقفهم هو توريث واستفزاز وربط اشياء  
 لا علاقة بينها . ان ذلك ، كما عبروا بصراحة ، اعتداء على حريتهم فسي  
 النعير .

والغريب في هذا الموقف ان اكثر الجوانب ايمانا بالحرية هي  
 الحكومة التي قبلت الجميع وافسحت لهم مجال التعبير . بل ان الحكومة  
 لا تتفق مع محمود العالم في عدم وجود تناقض في داخل المجتمع الذي  
 نحكمه . فقد تحدث الرئيس جمال عبد الناصر اكثر من مرة عن ضرورة  
 النقد وعن التناقضات القائمة بين صفوف الشعب .  
 كيف نشأ هذا الموقف ؟

ان الجانب الذي استفزه نقد العالم يعاني ازمة ضمير مقلقة  
 وموجعة . وهو لا يود ان يذكره بها احد . لقد كان هنالك نوع من  
 انفاق الجنتلمان ان يتناساها الجميع وان يمتنعوا عن الاشارة اليها .  
 ثم انى محمود امين العالم وفجرها بسداجة بالفة فهبت العاصفة  
 نبي وجهه . لقد مضى روح من الزمن عول به المثقف صاحب الرأي بقدر  
 كبير من الاسهانة ، فكان يؤخذ بالصف ان ليج في عناده ، وباللاطفه  
 والاغراء ان استكان وهذا . وكانت النتيجة ان هزم المثقف ذو الرأي  
 ولكنه بلغ غاية ما يروجه من الرخاء المادي ومن الامتيازات التي منحت  
 له . لقد جرد من رسالته في اصلاح العالم واعطي دورا ثانويا في المجتمع ،  
 ولكنه مقابل ذلك ، منح امتيازات الفئات العليا ، التي سرعان ما  
 اصبحت فضية يدافع عنها . ان وضع الفنان المميز يبدو واضحا اذا ما  
 فورد دخله بدخول الفئات الاخرى والمجتمع ، ودخله هو شخصا قبل  
 ان يصبح من فئة المحظوظين .

ولم يمنحهم هذا الوضع الاحساس بالرضا ، ولكنه جعلهم على  
 استعداد للدفاع عنه حتى اخر قطرة دم .  
 لهذا اخذ فن هؤلاء المثقفين يعكس تعارضا نفسيا مؤلما وصراعا  
 داخليا مريرا ، بلغ قمته في ديوان صلاح عبد الصبور الاخير ( احلام  
 الفارس القديم ) .

هذا الديوان وثيقة هامة ورائعة نستحق ان ندرس بعناية واهتمام  
 كبيرين . ومع الاسف ان احدا حتى الان لم يقوم بهذه الدراسة ، باستثناء  
 لويس عوض الذي يمكننا ان ندخل مقالتيه عن الديوان في باب الطرائف  
 لا باب النقد الفني والتقييم الجاد .

لقد قدم لنا صلاح بمستوى عال من الشعاعية وبالفاظ عاطفة  
 من كل زخرف وغنائية ، وتراكيب خشنة طازجة ، عريا وصدقا فريدين .  
 ان افنقاده لدور فعال مؤثر في المجتمع يربط بضجر كابوسي وحلسل  
 نفسي مخيف ، انه اختناق في سرداب لا يحرك ركوده نسمة :

الصمت راكد ركود ريج ميتة  
 حتى جناب الحقول صامته  
 وفتة السماء باهته

والافق اسود وضيق بلاابواب  
 منكفىء من حيثما التفت كالسرداب

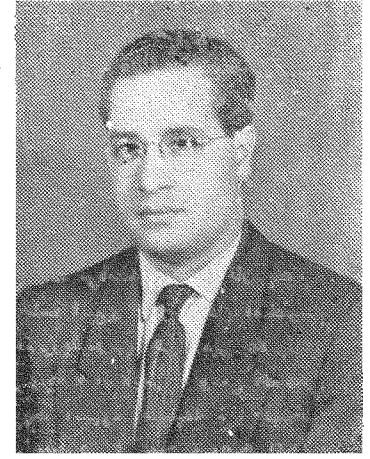
ان هذا التحلل يتبدى في تكوص طفولي ساذج :

الله لو جلست في ظلالك الوارفة اللغاء  
 اجدل حبل الخوف والسام

كما يتبدى في صورة الفارس الذي فقد اصلته وصدقه . فهو  
 ما زال يحمل ملامح الفارس ولكنها ملامح كاريكتيرية : متوج الفسودين  
 بالحديد والحصى ، قسمانه تنطق بالزيف ، ولسانه الذرب يجييد  
 الثرثرة ، ونفسه تصح بالانفعالات الرخيصة الشائعة . وامام صورته



صلاح عبد الصبور



محمود امين العالم

ادريس بذلك بل قال ان للفن اهمية كبرى . كيف ذلك ؟ وكان رده ، ماذا  
 يكون مصير الناس لولا الفن !  
 وكتب رجل غريب الاطوار ذو شطحات فائلا انه سيسحق العالم  
 وانصاره ، ولن يغفر لهم ابدا ، والايام بينه وبينهم . بل ذهب به الامر  
 ان شكيا محمود العالم الى خروشوف ، وافهم خروشوف انه يحترمه  
 ولكنه لا يحترم ابياعه .

ويحق لنا ان نتساءل : لماذا اثار كلمات العالم كل هذا السخط؟  
 ولماذا اتفق مناقشوه جميعا على تجريحه شخصيا دون الاعتناء بمناقشة  
 ارائه ؟ لقد انكر احسان عبد القدوس ما في ديوان صلاح عبد الصبور  
 من الحزن ، ولكن ذلك لم يستتر احدا ، كما ان مسرحية الفرافير قد  
 واجهت بعض الهجوم ولكن يوسف ادريس لم يتفعل مثل هذا الانفعال .  
 كما ان الامر الغريب هو ان الفريق الذي رد هجوم العالم فسد  
 تبنى فجأة اراء اليمين المتطرف ضد هذه الراء . ان شخصيات يمينية  
 معروفة تتجسد امامنا عندما نسمع اراء عن رفض مناقشة المضمون  
 الاجتماعي للادب ، والغاء كل علاقة بين الادب والمجتمع ، والاعتراض على  
 تحديد موقف الفنان من خلال فنه ، مضادا الى هذا كله الاستعداد النزق  
 للسلطة والتحول السريع الى الماحكة والظن الشخصي . اننا نرى  
 صورا مكررة لعباس العقاد وصلاح جودت وغيرهما .

واذا مضينا في تحليل موقف هذا الفريق فاننا نجد المعجب  
 العجاب . فبينما هم يرفعون اصواتهم صراحة بمنع العالم من الادلاء  
 برأيه نراهم يصرون على ان موقفهم هو دفاع عن الحرية . وليس لهذا  
 معنى سوى ان حرية التعبير هي امتهان للحرية . وهذا بالطبع منطوق  
 لا يستقيم .

حتى نجد لهذا كله معنى فان علينا ان نمضي الى ابعث من ظاهر  
 قول الفريقين . ان علينا ان نبحت عن التركيب النفسي للفريقين حتى  
 نملا الفجوات التي يخلقها مثل هذا الموقف المضطرب المتناقض .

ما هي وجهة نظر الطرفين المتنازعين على حقيقتها ؟  
 ان جوهر موقف العالم هو انه لا يوجد تناقض بين الفنان الثوري  
 والحكومة الثورية على الإطلاق . وعليه - اي الفنان - ان يرى في كل  
 ما يحدث الخير كله ما دام الانجاه العام صحيحا . ان النفاؤل والفرح  
 يجب ان يكونا جوهر كل فن ينتج في هذه الفترة .

واذا كان هذا سيقودنا الى التضحية بالفن ، فالحسارة ليست  
 كبيرة ، والقضية اهم واكبر من الفن ، انها قضية مصير تحددتها  
 الانجاهات الاقتصادية والسياسية . وبكلمة اخرى ، ان على الفن ان  
 يكفني بدور النابغ الصغير التثبيط الذي ييسر الامور ولا يزيدنا تعقيدا .  
 وسنرى بعد قليل ان هذا الموقف هو موقف حكومة الثورة فسي

أن كل ما يعرض له هو واحات على الطريق يركن إليها ويعيد منها مواصلة البحث .  
ولكنه فجأة يكشف ان البحث عقيم . فالاب الذي يبحث عنه رجل داعر يؤرّع فجوره في القارات الخمس ولا يؤرقه مصير من خلف وراءه . ويفغ صابر امام مصيره المفجع ، في الوقت الذي فقد فيه كل شيء ، يراوده بين الحين والحين حلم الخلاص على يد ذلك الاب .  
اننا نقتصر على هذين المثالين لاهمية وصدق الشهادة التي يؤديها فنانون هما اكثر فنانينا اصالة وحساسية واكثرهما اخلاصا في التعبير عن ازمة الجيل .

كان هذا نتيجة حتمية للوضع في احد مراحل ، عندما كان بحاجة الى دعاة لا الى ثوريين ، وذلك عندما حلت البيروقراطية محل التنظيم الشعبي في تطبيق وحماية الاجراءات الثورية ، وفي خلق الجو الملائم لها . وقد قام الدعاة بدورهم على خير وجه ، اذ ابدوا الوضع التقدمي بنفس المنطق والاسلوب اللذين ايدا بهما الجهود السابقة : الحماس المنقطع النظير لكل ما هو واقع ومتفق عليه من الجميع ، وعدم التقدم خطوة واحدة بعد ذلك . ومحاربة كل اتجاه يدعو الى دفع الوضع الى الامام بشراسة وعنق منطقي النظر . والداعية بطبعه محافظ .  
اما الثوري فله عين نسر تجوب الافق وترى الى ابعد مما وهو واقع . انه يلمس تناقضات الواقع العميقة ، ويحاول ان يتغلب عليها . والفنان ثوري لان الواقع بالنسبة له في حالة انحلال وتكون مستمر . ولهذا ، فعندما فرض عليه دور الداعية ، هرب بفنه من المجتمع .

\*\*\*

اما موقف محمود امين العالم فلا يمكن وصفه الا بالسذاجة او على الاقل بادعائها . هل يمكن ان يكون الانسان متفائلا بمجرد ان ندعو له لذلك ؟ ولا ادري لماذا لم يسأل العالم نفسه عن معنى ودواعي التفاؤل . هل ينتج عن مجرد مراقبة سير الامور الى الاحسن دون ان يكون للفنان دور في ذلك ؟ هل يعكس الفنان فرحه بالظروف الحسنة عندما يعطى دور

## هو امش

« الارض في مخاض ،

ونفسي في مخاض .

في كل رفة جفن تتمخض الارض عن الف الف عجيبة لتعود فتحبل بالف الف عجيبة .

وفي كل رفة جفن تتمخض نفسي عن مواليد لا حصر لها ولا عد لتعود فتحبل بمواليد لا تحصى ولا تعد .

مواليد الارض تشقى وتسعد الى حين .

ومواليد نفسي تشقى وتسعد في كل حين .

فلا الارض تشكو .

ولا انا اشكو . »

هكذا يفتتح

## ميخائيل نعيمة

كتابه الجديد

الذي سيكون قريبا بين ايدي القراء

نفتقد الفتاة التي تجلس قبالة فارس احلامها الذي كان جميلا بلا تزويق ، متقفا بلا دعاء ، حنوناً بلا صخب ، محتشماً لنبل في طبعه .  
ان مجتمع المنافع المتبادلة قد قتل الحب « الحب بالظنانية اختنق ، واصبح لقاء المرأة بالرجل في لحظة الشيق ، تنشأ العلاقة وتنتهي في تلك اللحظة . »

ان شوقاً للرجل الذي كان ، للفنان الذي يعيش قضايا عصره ويؤثر فيه ، للصدق الذي كان يملا قلبه . . . مثل هذا الشوق الذي يصير الشاعر على انكاره تفصح لحظة صدق :

قد كنت فيما فات من ايام

يا فتنتي محاربا صلبا ، وفارسا همام

من قبل ان تدوس في مؤادي الاقدام

من قبل ان تجلدني الشمس والصفيع

لكي نذل كبريائي الرفيع

كنت اعيش في ربيع خالد ، اي ربيع

وكنت ان بكيت هزني البكاء

وكنت عندما احس بالراء

للجساء والضعفاء

اود لو اطمئنتهم من قلبي الوجيع

وكنت عندما ارى المحجرين الضائعين

النائمين في الظلام

اود لو يحرفني ضياعهم ، اود لو اضيء

وكنت ان ضحكت صافيا ، كانهي غدير

الى ان يقول :

يا من يدل خطوتي على طريق الدمة البريه

يا من يدل خطوتي على طريق الضحكة البريه

وعندما ينفجر قلب الشاعر بالفرحة الطاغية للحب وللقاء امرأة تحنو عليه فان المسألة تبدو مشبوهة . اذ ان ضياعه واساه وضجره كان يبدو وكأنه جزء من التركيب الكوني والكيان الاجتماعي ، متضمن فيه وتابع منه ، ثم نكتشف فجأة ان ذلك كله مصادفة ولا اساس له . ان الفن هنا يتحول الى مجرد شكوى من تصاريح الزمن .

ولكننا حين نمضي في قراءة الديوان نجد انها واحة صغيرة ركن إليها الشاعر حينما تم عاود مسيرته المضنية . ان لحظة الحب تبدو مجرد اشراق وسط كابوس الياس ، بل ان التشبث بها بكل هذا العناد يكشف عمق المأساة .

والواقع ان الصخر الذي يعكسه الديوان من المرأة ، ومن الجلوس في الاماكن الانيقة ، واستعراضه لثرثرة المهزومين المسئمة وللادعاءات البلهاء هي في حقيقتها تعبير عن الرفض لهذه الامتيازات التي تكبله وعن الضيق بها ، لانها لم تعط للفن فعاليته ودوره واحترامه لذاته .

ولكن التصوير لهذه الهوم على انها قدر لا مهرب منه ، على انها جزء من التركيب الكوني ، هو خضوع لهذه الامتيازات وتشبث بها . لهذا كنه ، يبدو شوق الشاعر للحب الحقيقي ، والفرح الصادق ، والبراءة ، والانسان الانسان . . . يبدو شوقه للخروج ابكم عنيفا .

وفي اخر روايات نجيب محفوظ ( الطريق ) ينطلق صابر باحشا عن اب يعيد له احساسه بالكرامة والانتماء والسلام . ان عارا مهلكا يذله ويلاحقه كظله ، وهذا الاب وحده القادر على ان يحموه ويعيد له الحياة السوية .

وفي الطريق الى هذا الاب تعرض لصابر اغراءات عديدة ووعود لتصدده عن عزمه وتشنيه عن المضي في طريقه . هنالك الهام النسبي تحيطه بعجها الحنون ، بالعمل المنتج ، بنسيان الماضي كله في رحم لقاء ينسي كل ما عداه . وهناك باب اللذات ، لحظات الشيق التي يضيع فيها كل احساس بالهدف البعيد ، والثراء السريع الذي ينتظر - جسد كريمه ومالها . ولكن ذلك كله لا يشنيه لحظة واحدة عن سعيه الحثيث المتصل والدمر في الوقت ذاته عن الكرامة متمثلة في ذلك الاب .

العربية المتحدة وفي العالم العربي - الذي أعقب الاجراءات الجذرية التي اتخذت في المجال الاقتصادي قد جعل الاعتماد على الشعب ضرورة ملحة .

ان الرجوع الى التجربة السوفييتية امر بالغ الاهمية ، اذ هي معين من الخبرة لا ينضب .

ماذا كان موقف لينين من العلاقة بين السلطة الحاكمة وجماهير الشعب ؟

لقد تعودت الدراسات السوفييتية في السابق ان تهمل هذه النقطة او ان تكتفي بتحريفها .

وعند نجاح ثورة اكتوبر ، كان لينين يعتقد انه يجب ان تمنح جميع الاحزاب حرية العمل في اطار الوضع الجديد . ولهذا اجريت انتخابات اول مجلس ناسيسي ، ولكنه حل لان الاحزاب المعارضة نالت اكثرية ساحقة مما يهدد الوضع الجديد .

ولكنه مع ذلك لم يتخل عن فكرة الاحزاب المتعددة ، واعتبر ايقافها ابان الحرب الاهلية مجرد ضرورة مؤقتة . كما ان لينين سمح بتعدد الاجنحة في داخل الحزب البولشفي ذاته . والى جانب هذا كلسه افسح المجال لجميع مدارس الفن والادب لان تعبر عن نفسها بكل حرية ودون اي تدخل من السلطة .

ماذا كان موقف لينين من الدولة ؟

انه كان يرى ان انتصار الثورة الاشتراكية هو بداية فناء السدولة ونلاشيها . اذ على الدولة ان تنقل سلطاتها شيئاً شيئاً الى الشعب ، وبهذا تسير الدولة نحو التلاشي والانهاء .

كما كان يرى ان من الواجب فصل الحزب - الوجه الفكري للدولة والشعب - فصلاً تاماً عن اي تنظيم غير حزبي بما في ذلك الدولة . ان ذوبان الحزب في الدولة يعني انه فقد قدرته على التوجيه ، ويعني تحول الدولة الى الديكتاتورية ضد الشعب .

ولكن ستالين اى وعكس الاية بنظرته الغريبة التي نقول انه كلما توطدت قوة الدولة الاشتراكية ، ازداد الصراع الطبقي في داخل المجتمع الاشتراكي عنفاً ، وبالتالي ازداد التهديد بالقضاء على الدولة . وبوحي من هذه النظرية بدأ ستالين بمذابحه التي اتت على معظم قادة الثورة ومفكري الحزب ، وجميع مارشالات الجيش الاحمر ، ومئات الالوف من الشيوعيين المخلصين .

اما الحزب فقد تحول الى جهاز من اجهزة الدولة .

واما الفن فقد أصبح متفانلاً الى اقصى حد ووردنيا الى اقصى حد ، حسب اوامر ستالين . فعندما شاهد ستالين ومولوتوف اوربا « ليدي ماكيت اوف متنسك » من تأليف شوستاكوفتش ، صدر قرار بايقاف عرضها فوراً لانها مجرد ضجيج لا معنى له - على الرغم من انها عرضت لمدة سنتين واعتبرت احدى فم الفن السوفييتي بواسطة النقاد .

وهكذا تحول الجميع الى مجرد اتباع ، لان الرفيق ستالين كما قال عن نفسه مرة في احد ردوده « ليس من السهل ان يخطئ » .

اما الجيل الناشئ فمنع من التحدث في شؤون السياسة . ففي عام ١٩٣٦ ، وفي مؤتمر الكومسومول ، تحدث رئيس المنظمة قائلاً ان على جميع الشباب ان يتوقفوا عن التحدث في السياسة .

ثم اضاف ساخراً ، ان من يسمهم يتحدثون عن العشرات من المشاكل انداخية يخيل اليه انهم هم الذين يدبرون شؤون البلاد .

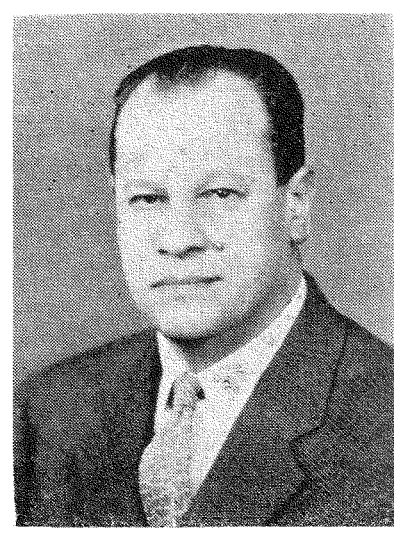
ما الذي يعنيه هذا كله وما الذي يعنينا منه ؟

ان علينا ان نبدأ من النقطة الاساسية وهي ان وجود السلطة ، اي سلطة ، هو حد من حرية الشعب ، واستيلاء على احد الواجبات التي يجب ان يمارسها الشعب الحر .

معنى هذا ، ان وجود السلطة مرتبط بطرف معين تجعلها ضرورة كمستوى وعي الشعب ، والمستوى الاقتصادي ، وظروف التهديد الخارجي الخ . . . وان مسارها الطبيعي هو التخلي التدريجي المستمر عن سلطاتها للشعب المنظم الواعي .



لويس عوض



نجيب محفوظ

\*\*\*\*\*

التابع الصغرى ؟ اننا في الحقيقة نطلب الى الفنان ان يتمتع بقدر كبير من احتقار الذات .

ثم لماذا يتناسى العالم اسط القوانين الموضوعية في عملية الانتاج ، هل هي مجرد نتيجة الاقتناع برأي والتعبير ، ام حصيلة تجربة ذاتية يستحيل ان نسيطر عليها سيطرة واعية ؟

ان اي ناقد يهمل ميكانيك عملية الانتاج الفني ويكتفي بالنظر الى الفن كمجرد رسالة يجهل الفارق بين الفن والدعاية .

لقد قلنا فيما تقدم ان العالم يعكس وجهة نظر السلطة في احد مراحلها ، تلك النظرة التي تخطتها الثورة كما تؤكد تصريحات المسؤولين وميثاق العمل الوطني ، باستثناء بعض الاجهزة المحافظة . فكيف ذلك ؟ كان موقف السلطة في السابق يتأخص في اتخاذ الوصاية اسلوباً في معاملة الجماهير . وقد استندت في ذلك الى بعض تجاربها السابقة ، اذ ان تنفيذ اجزاء عديدة من مخطتها الثوري كان يقابل احياناً بمقاومة من جانب الشعب او بعدم مبالاة .

ويمكننا ان نستدل من عدة شواهد ان الثورة لم تكن تنتظر هذا الموقف من الجماهير ، اذ كان يخيل اليها ان الاخلاص لقضية الشعب والاقدام على تحسين احوال الشعب يكفيان لنيل تأييد جماهيري على اوسع نطاق . ولكن موقف الشعب كان طبيعياً ومنتظراً . فكل اجراء ثوري يواجه قوة العادة عند الجماهير ويتعارض مع القيم التي ارسنتها الاوضاع المتخلفة السابقة . فلماذا كان من الواجب الا يكون الاجراء الثوري مفاجئاً ومفروضاً على الشعب ، بل كان يجب ان ينفذ بالتعاون مع الشعب - مع الشعب المنظم سياسياً والواعي فكرياً .

كما كان هنالك العديد من الاخطاء في التقدير والتقييم النسبي تواجها قيادة كانت تملك الاخلاص ولكنها لا تملك نظرية للعمل ، بل كانت التجربة والخطأ هما وسيلتها في الحكم .

من هنا رأت حكومة الثورة ، استناداً الى تجربتها الخاصة ، ان السيطرة الكاملة على جميع اجهزة التوجيه ، وفرض نوع من الوصاية الفكرية والسياسية هو ايسر الوسائل للمضي في تنفيذ مخطتها الثوري .

ومن الامثلة التي نستطيع ان نضربها على هذا الانحياز موقف بعض دور النشر الحكومية من المواد التي كانت تقدم اليها للنشر وقبولها او رفضها على اسس غريبة ورجعية .

ولكن من الواضح ان صدور ميثاق العمل الوطني ، والغاء قوانين الطوارئ ، وانشاء المجالس الشعبية هي خطوات اولى في التخلي عن منهج الوصاية . ان رد الفعل اليميني - في داخل الجمهورية -

# سراب

(( الخيال ملاذ الضعفاء يدفنون رعبهم  
في سراه العقيم ))

✽✽

دعني ..  
لا تسرح في اودية موهومه  
ما جدوى الشعر اذا لم يطفىء  
في القلب جحيمة ..  
ما جدوى أن تسكر من غير رحيق  
وحوايك تغور الغيد تضج بما فيها  
وتضيق ..  
لا تخدعني ..  
فالشعر خيال ومضله  
وسراب لا يشفى غله  
كم طرنا فوق جناح الوهم  
الى نجم كذاب  
وتكحلنا بسواد الليل وكان  
الفجر سراب  
لا تخدعني ..  
حطم اقلامك واتبعني  
فانا ما عدت اطوف في دنيا  
الاهام  
يا كم طوفت وعدت بلا احلام  
الاحسرة قلبي المجهد  
الا اشباحا تبكي تتنهذ  
يا عمري .. يا نجما في التيه تبدد  
ماذا يجديك اذا رحت تنادي  
محبوباً تاه  
اترى .. ينفع قيس او تغنى ليلاه  
لا تخدعني ..  
فالجنة حلم الفانين الغرباء  
لا لن تبلغها مهما رحت تدور  
مهما اشرفت على موعد  
مهما غنيت لها في الحلم السارى  
الجنة ضاعت في زحمة هذا الزمن  
العارى

محمد صبري سليم

القاهرة

فعلى ضوء هذه الحقيقة ماذا يكون موقف محمود امين العالم  
وخصومه ؟

ان علينا أن نحدد ذلك انطلاقاً من موقف الطرفين من الفن .  
من الواضح ان هنالك شبه اتفاق عام - كثيراً ما ننسأه عند  
التطبيق - ان هنالك شروطاً موضوعية لعملية الإنتاج بدونها لا نستطيع  
التوصل الى فن حقيقي . وبجانب هذا لا بد ان يكون للفن رسالة، نابعة  
من كونه احد وسائل المعرفة . انه يستحيل ان نتصور فنا لا يمنحنا  
مزيداً من الفهم للعالم من حولنا ولذواتنا .  
وموقف الطرفين من جوهر الفن ورسالته يشير في النهاية الى  
موقفهما من قضية المجتمع الاساسية : علاقة الشعب بالسلطة .  
يرى العالم ان واجب الفن الاساسي هو تثبيت السلطة والدفاع  
عنها لانها تقوم بدور تقدمي في تغيير المجتمع . اي اخضاع الفن للموقف  
الاتي والمرحلي .

وهذا الموقف ينكر امرين :

الاول ، عدم الاخذ بالاعتبار طبيعة العمل الفني .  
الثاني ، الخلط بين رسالة الفن كاحدى وسائل المعرفة ، وتحويله  
الى وسيلة للدعاية .

اما خصوم العالم فهم يتخذون موقف الدفاع عن عملية الانتاج  
الفني دون اي اعتبار لرسالة الفن . ان جوهر هذا الموقف ، هو الموقف  
المحافظ الذي انخذه الدعاة المتحمسون للوضع . وهو باختصار ازلية  
التقسيم الاجتماعي ، على اعتبار ان كل طائفة في المجتمع لها وظيفتها  
تؤديها ، ومن الواجب المحافظة على هذا التقسيم وعدم تخطي الحدود .  
وهذا الالتزام بازلية التقسيم الاجتماعي - الذي اصبح قدراً لا  
راد له في مسرحية الفرافير ليوست ادريس ، هو تعبير عن التمسك  
بامتيازات الفئات العليا التي منحها الفنانون في المرحلة السابقة .  
ان كلا الموقفين ، في رأينا ، خاطيء وضار . فجعل الفن والفكر  
مجرد تبين دليلين لضرورات مرحلية هو تعبير عن عدم ثقتنا وعدم  
احترامنا للشعب . ذلك يؤدي الى خلق اجيال فقيرة روحياً وذهنياً ،  
ويقتل روح الخلق والابتكار عند الشعب . انه مجرد نسخة جديدة من  
الفكرة القديمة : فكرة الرعية والراعي الصالح .

اما الرأي المخالف فهو اشد ضرراً ، اذ يلقي دور الفن كاحدى  
وسائل النوعية ، ويمنعه من ابداء رايه في قضايا عصره .  
ويستفيد من هذين الاتجاهين اتجاه اخر متماسك اشد التماسك،  
قوي وهو تيار الفكر اليميني . ان سيطرة اياً من الاتجاهين المذكورين  
يفسح المجال على مسننه امام الفكر اليميني ليكون اللجأ الروحي  
للجماهير التي لا يمكن ان ترضى الدعاية وحدها رغبتها في التمتع الفنية،  
كما انها لا تستطيع التجاوب مع فن ينكر علاقته بواقع الحياة ومشكلاته .  
والفكر اليميني يجد ارضة ضخمة تهيئه وتسندة : منها قوة  
العادة عند الجماهير ، والصعوبات التي تواجه مجتمعا يبني نفسه ،  
والبيروقراطية التي يمكنها دوما التسلل من خلال تعقيداتها ومظهرها  
الحايد . كما ان جو اليمين الفكري هو اللجأ المريح لمئات الشبان الذين  
يواجهون مشكلات الحياة الجديدة دون وعي وبلا احساس بالمشاركة .

ان نقطة البداية هي اعطاء الحرية للشعب المنظم ، الذي يستطيع  
دائماً ان يجعل حريته ذات فاعلية في كبح هجوم اعدائه .  
ان الغاء جميع الاعباء على الحكومة يعني تحويلها الى بيروقراطية  
متحكمة ، وغير قادرة على القيام باي عمل جدي . انه من خلال حرية  
التعبير والنقاش ، حرية التنظيم والممارسة الفعلية لمسؤوليات الحكم ،  
يستطيع الشعب ان يحل التناقض بين الحكومة والشعب .  
اننا بهذا نخلق الموقف لاننا فن صحي ومتقدم لا من خلال مواعظ  
واوامر .

وفي النهاية نؤكد ان خطر تبعية الفن للسلطة او انزواله عن  
رسالته يؤديان الى اضرار بالغة وجسيمة .

غالب هلسا

القاهرة